Middle East Journal of Humanities and Cultural Studies
Homepage: http://meijournals.com/ar/index.php/mejljs/index
ISSN: 2710-2238 (PRINT)
ISSN: 2788-4686 (ONLINE)
مجلة الشرق الأوسط
للعلوم الإنسانية والثقافية

تمثلات النصح في الشعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى أنموذجا

محمد عدنان مطر الخفاجي

جامعة ذي قار – كلية الادارة والاقتصاد – قسم الاقتصاد
الإيميل: mohammed.adnan@utq.edu.iq

استلام البحث:24-09-2023 مراجعة البحث :28-11-2023 قبول البحث :08-12-2023

ملخص

يمثل النصح أحد أهم الموضوعات الأدبية قديماً وحديثاً لكونه نواة الشعر والمجتمع ولابد للنتاج الأدبي من هدف معين إذ لا يوجد عمل منظم غير هادف إلى شيء والهدف من النصيحة هوما لها من تأثير كبير في نفوس وعادات المجتمعات الإنسانية بصورة عامة لا سيما بشاعر كبير عرف بتجاربه وحكمته اتجاه الناس والمجتمع وهو الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى حيث يرى الباحث أن الشاعر عالج الكثير من المشكلات السائدة في ذلك الوقت من خلال أشعاره وتناول العادات السيئة منها والكريمة في شعره إضافة إلى ذلك أن تلك النصائح جاءت قبل ظهور شمس الإسلام وتكمن أهمية البحث كونه يدور حول موضوع مهم وهو النصيحة لنرى ما هي الجدوى من نصيحة وحكمة الشعراء ومدى تأثيرها بصوتها المباشرة أو غير المباشرة في نفوس المجتمع ومن الأهداف معرفة دور النصح في تقويم الناس ولا سيما المجتمعات العربية ,ومنها هو الوقوف على إشكالات البحوث السابقة ذات الصلة بهذا الموضوع و قام الباحث بتقسيم هذا البحث على محورين رئيسيين وهما تمثلات النصح الاجتماعي وتمثلات النصح الديني وسبق ذلك تمهيد للبحث تناول فيه الباحث مفهوم النصح ومعناه في اللغة والاصطلاح وأهم ما جاء من دلالات فيه وقد أختار الباحث المنهج الوصفي التحليلي في وصف وتحليل أبيات الشاعر زهير بن أبي سلمى ذات الدلالة على موضوع النصح وكانت أبرز النتائج عالج الشاعر الكثير من المشكلات السائدة في المجتمع والسبب لأنه كان مجتمعه مجتمع قبلي يميل إلى لغة الحرب والنزاعات , وأكثر الشاعر في نصائحه الاجتماعية لكون المجتمع أنذاك يمل إلى الشعراء وحب الشعر وكان ذات تأثير عميق في نفوسهم , وكان الشاعر كثيراً ما يحاول ويطمع أن يوازن بين النزعة الجاهلية والنزعة الإنسانية .

.**الكلمات المفتاحية:** النصح، العصر الجاهلي، زهير بن أبي سلمى، الإرشاد، ديوان الشاعر، الحكمة

مـــقدّمـــــة

أعلموا ان من فضائل الحديث هو كتاب الله وخير الهادين محمد (ص) اما بعد قال رسول الله (ص) ((الدين نصيحة)) قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وفي هذا الحديث حكمة عظيمة يدور عليها الإسلام وقال بعض أهل المعرفة أنه رابع أربعة أحاديث يدور عليها الإسلام فكانت في الحديث أعلاه النصيحة لله جل وعلى وكانت لكتابه ولرسوله ولأئمة وعامه الناس ايضاً[1]ولا خلاف بين أهل العلم ان النصح فريضة واجبه ولذلك كان النبي (ص) يحث الناس على النصح كما يحث على الصلاة والصيام أي ان النصح أمر مهم حث عليه الرسول وال بيته وللنصيحة معان متعددة ومنهما [2]

1. الملائمة بين الشيئين والمقاربة بينهما. فكل من قارب بين شيئين ولائم بينهما يقال له نصح وناصح ولذا يسمى الخياط ناصحاً لأنه يجمع بين أطراف الثياب ويقرب بينهما ويجعلها متلائمة
2. الإخلاص وإزالة الشوائب وعدم والغش ولذا يقال فلان نصح في مودته لفلان اي اخلص فيها وصفاها من كل شائبة
3. فالناصح يريد من خلال نصيحته الخير ولا يريد ذمه وإخراج ما في قلبه لأخيه على صورة نصيحة .

[1] النصيحة مفهومها وفضائلها : ص 8
[2] المصدر نفسه : ص 10 -11 .

1 -------

النصيحة لغةً

جاء في مقاييس اللغة :" النون والصاد والحاء اصل يدل على ملائمة بين شيئين وإصلاح لهما ... ومنه النصح والنصيحة خلاف الغش ،ونصحته انصحه .والتوبة النصوح منه كأنها صحيحة ليس فيها خرق ولا ثلمه[3]

ورجل ناصح الجيب .لأغش فيه ... والتوبة النصوح : الصادقة [4] والناصح الخالص من كل شيء [5]

وقال في لسان العرب (نصح الشيء خلص والناصح الخالص من العسل وغيره كل شيء خلص فقد نصح)[6]

وجاء في تهذيب اللغة (والغش ..نقيض النصح ،وهو مأخوذ من الغشش وهو المشرب الكدر ...وقال الليث .. غش فلان فلاناً يغشه غشاً اذا لم يمحصه النصح [7]

النصيحة اصطلاحاً

ولها تعريفات منها

1. (أن يسوء المرء ما ضر الأخر ساء ذلك الآخر او لم يسوؤه وان يسره ما نفعه سر الأخر أو ساءه [8]
2. ((بذل المودة والاجتهاد في المشورة))[9]
3. ((حيازة الحظ للمنصوح له))[10]
4. ((قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً))[11]
5. ((الدعاء الى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد)[12]

تمثلات النصح الاجتماعي

يعد النصح الاجتماعي من متطلبات المجتمعات الإنسانية كما يعزز الثقة بين افراد المجتمع فهو يبعث على الانتماء لهذا المجتمع واحترام الحق بين الناس ويتحقق هذا الشيء عندما يكون الغرض من النصيحة محبة الخير للآخرين وغالباً نرى المجتمعات التي تتوفر فيها هذه الصفة يكون مجتمعاً مثالياً ومتقدماً فهي تؤدي بالإفراد الذهاب الي الطريق الصحيح والبعد عن الطريق الخاطئ فهي تعمل على معالجة الأشخاص والأوضاع العامةفالنصح لا يكون بأساليب التشهير بعيوب الآخرين او الانتقاد والانتقاص منهم وإنما يكون بدافع النصيحة المفيدة يكون بأسلوب حسن ومقنع لكي يسعى لإزالة الشر ويثبت الخير بالطرق الحكيمة وتتجلى مكانة النصيحة من خلال أثرها الاجتماعي والتربوي والتعليمي وهذا ما يعكسه إيجاباً أو سلباً على الفرد و المجتمع فهي لها أهميه كبيره كواجب أخلاقي وركن تربوي لا يقل أهميه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل قد يكون أكثر أهميه واخطر اذا تم إهمال هذا الركن .وربما واجهت بعض المجتمعات إهمال من هذا الجانب الهام في المجتمع فظهرت سلبيات في الأمة .ما كان لها أن تظهر على الساحة لو لا غياب مبدأ النصيحة وبذلك يكشف العادات السيئة أو الإرشاد الى الطريق القويم وربما من الواجب ان يسلك طريق الحكمة في النصيحة كما عرفها الإمام ابن القيم يرحمه الله .(وهي وضع الشيء في موضعه)[13]

كما لها أركان أربعة:

1. الناصح
2. ما فيه النصيحة
3. المنصوح
4. ٤نفس النصيحة

أي المقصود ان يتبع الحكمة في نصيحته فهي بالنسبة للناصح هو التزامه بالأدب التي يجب توفرها فيمن يتصدى للإرشاد فعندما تتحقق تنبثق الحكمة ويتحقق المقصود [14]وقد ورد الكثير من الأبيات بصدد هذا الموضوع تناولها الشعراء على مر العصور .وقد وردت في قصائد الشعر الجاهلي حيث ان الحكيم العربي في العصر الجاهلي يستمد حكمته من الحياة اليومية وذلك لان حياتهم القبلية كانت تحتاج الى أناس يمتازون بالحكمة ورجاحة العقل ليفصلوا في المنازعات وأولئك الرجال بينهم هم طبقة الحكماء الذين اكتسبوا من بعد النظر ما يؤهلهم لثقة الأطراف المتنازعة [15]حيث أن الحكمة الجاهلية غالباً ما تكون حكمه عمليه تهتم بتنظيم الحياة البشرية بصوره عامة وتقديم العون والنصح للناس لتدبير أمورهم المعاشية والصحية[16] حيث أن الحكيم كان عالماً بأنساب القبائل اي ان أولى مقومات الحكمة كانت بمعرفه تواريخ القبائل والأنساب والأيام [17]

---

[3] مقاييس اللغة , ج5 , ص 435 .
[4] القاموس المحيط : ج 1 , ص 312 – 313 , مادة أنصح .
[5] مختار الصحاح , ج 1 , ص 276 .
[6] لسان العرب : ج 2 , ص 615 .
[7] تهذيب اللغة : ج 8 , ص 6 .
[8] الأخلاق والسير في مداواة النفوس , ص 42 .
[9] عمدة القارئ شرح صحيح البخاري : ج 2 , ص 360 .
[10] الديباج على المسلم : جلال الدين السيوطي , ج 1 , ص 72 .
[11] جامع العلوم والحكم : ج 1 , ص 80 .
[12] التعاريف : ج 1 , ص 699 .
[13] مدارج السالكين : ج 2 , ص 448 .
[14] مفهوم الحكمة في الدعوة : صالح بن عبد الله , ص 15 .
[15] يسري سلامة : الحكمة في شعر المتنبي : ص 18 – 20 .
[16] المصدر نفسه , ص 18 – 20 .
[17] المصدر نفسه : ص 19 .

ولابد ان زهير بن أبي سلمى له أبيات من الشعر في الحكمة والنصح تذكر حيث أوتي الحكمة ما جعل منه حكيم الشعراء وهذه الأبيات تعد من أوسمه العصر الجاهلي فقد اخذ زهير يتجه الى أبيات الحكمة والنصح ويضمنها شعره بعد أن مر بعراكات الحياة وصقلت ذهنه التجارب فهو يعد عالماً بكل هذه الأمور على اعتبار انه عمر طويلاً وهذا ما صرح به في قوله :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم[18]

واعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم مافي غدٍ عمٍ

ترى ان سني عمره جعلته يميل الى التشائم فهذا الشيء واضح من خلال أبياته عندما ناهزه عمره على الثمانين حيث اخذ السأم منه مأخذه اما في البيت الثاني ترى أن الشاعر لا يعلم من حياته إلا ما تم في أمسه وحاضره اما ما يضمره له القدر في الغد فهو مستقبل مجهول لا يعرف منه شيئاً ففي هذه الأبيات نراه استسلم لليأس أمام المنايا وأما من ينجو منها فيمتد به العمر حتى يقتله اليأس فمن يكون هذا حاله من التشاؤم حرياً بيه ان ينطلق لسانه لموعضة الناس ويرشدهم إلى أمور حياتهم من خلال إدراكه واستنباطه من عبر الماضي وصروفه فهذه التجارب والعبر جعلته يميز بين الخير والشر والحق والباطل والحب والكره والحرب والسلم فعمد الى الإرشاد والنصح متخذاً من حكمته دستوراً لتهذيب النفس وحسن التصرف والسياسة الاجتماعية البدوية فغيرته الواسعة على اصلاح المجتمع القبلي هي وليدة العقل الهادئ الذي يترقب أحوال الناس التي توصل الى سعادة الحياة الجاهلية[19] فنجده يدعو الى السلم ونبذ الحرب كقوله :

ومن يعص أطراف الزجاج فأنه يطيع العوالي ركبت كل لهذلم[20]

ليثبت للمتنازعين من عبس وذبيان والأمم المقبلة فأن من لا يذعن الى الحرب . فهو من المؤكد واقع في ويلاتها.حيث انه شهد حروب وتطاحن القبائل فهو يرى ان الحرب من اشد الهلاكات على الإنسان فكرهه كرهاً كبيراً وكان كثير ما يدعوا الى الصلح والثناء على المصلحين كما وعاب من استخدم قوة السلاح وكان مبدأه هو كل ما يحل بالسلم أفضل مما يحل بالحرب ويترك خيار الحرب اخر ما يلجأ إليه [21]فكأنما جعل من هذه العادة المعروفة لديهم صوره مثلها في هذا البيت وهي أن يستقبلوا أعدائهم اذا عمدوا الى الصلح بأزجة الرماح ومن لا يطع الدعوة إلى السلم وسار يمثل الدخول في الحرب بإطاعة أسنة الرماح والسيوف[22]

وهو رغم حرصه على الدعوة الى السلم وحبه لها لم يكن بمقدوره انتزاع هذه السنة من المجتمع القبلي فهناك أمور كثيرة في المجتمع الجاهلي لايمكن التغاضي عن وسيلة السلاح فيها وكأنما أراد القول بما ورد بالمثل الاتيني اذا شئت السلم فتأهب بالحرب

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم , ومن لا يظلم الناس يظلم[23]

فالذود الدفاع أي من لا يدافع عن نفسه ويبدأ بظلم الناس يظلمه الناس فهنا لفظتي لا يظلم ولفظة يظلم دليل على اختيار الطباق في أبياته فهو جمع بين المتضادات السلب والإيجاب كما واستخدمه في أبيات كثيرة له منها :

يميناً لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم[24]

لفظ سحيل ومبرم , وأيضاً قوله

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غدٍ عمٍ[25]

لفظ اليوم والأمس فهذه الألفاظ وغيرها من الطباق أسهم في إنشاء موسيقى داخلية بين المتضادات هذا ماساهم في تنميه الجمال الفني فالتضاد يميز الأشياء أيضاً من أبيات التي دعا فيها الى السلم ونبذ الحرب كثيرة تحمل في طياتها ألفاظ الدالة على الحرب قد يتجاوز فيها ذكر ألفاظ الدالة على الحرب (٤٠) لفظة كلها جاءت منددة من الحرب وآثارها ومن الأبيات الدالة على ذلك وكان فيها زهير أسلوبه في النصح والإرشاد والدعوة الى السلم واضح يقول :

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقو بينه عطر منشم[26]

وقد قلتما أن ندرك السلم واسعاً بمالٍ ومعروف من القول نسلم

فأصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومأثمِ

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم

وقوله ايضاً :[27]

[18] زهير بن أبي سلمى : الديوان , ص 70 .
[19] الفاخوري : تاريخ الأدب العربي , ص 156 .
[20] المجاني الحديثة : ج 1 , ص 88 .
[21] الشنتمري : ص 27 .
[22] شوقي ضيف : ص 325 .
[23] الديوان : ص 70 .
[24] الديوان : ص 66 .
[25] الديوان : ص 70 .
[26] الديوان : ص 67 .

متى تبعثوها , تبعثوها ذميمة وتضر اذا ضريتموها فتضرمِ[28]

فتعرككم عرك الرحى بثقالها وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتئمِ

فتنتج لكم علمان أشأم كلها كأحمر عاد ثم ترضع فتفطمِ[29]

أيضاً له أبيات يدعو فيها بني سليم ويحثهم الى السلم :

خذوا حظكم من ودنا إن قربنا إذا ضرستنا الحرب نار تسعر[30]

وإنا وإياكم الى ما نسومكم لمثلان أو أنتم الى الصلح أفقر

فهو ها هنا يدعوهم الى صيانة حظهم من صلة القرابة والود وان لا يفسدوا ما بينهم من جهة الولاء والتراهم . وقوله (مثلان) أي في الاحتجاج الى الصلح وترك الغزو بل هم الى هذا الشيء أحوج ووردت كلمه (نسومكم) أي دعوته وعرضه عليهم للصلح وهذا ما يدل على شدة حرصه وحبه للسلم ومعبره في الوقت نفسه عن كرهه للحرب وتشاؤمه وتحذيره منها فكانت على شكل قوالب من الحكمة تصرح عن نزعته الإنسانية السامية أيضاً من أبيات زهير التي نجد فيها النصح واضح والدعوة والحث على المصانعة والسياسة يقول :

ومن لا يصانع في أمور كثيرةً يضرس بأنياب ويوطأ بمنسمِ[31]

أي انه يرشد الإنسان الذي لم يدخل الحياة من بابها الواسع وتدلى لمعرفة أعماقها ويدرك أبعادها ومن لا يصانع الناس ولا يدارهم في كثير من أمور حياتهم أذلوه وغلبوه كالذي يضرس بالناب ويوطأ بالمنسم وغايته ليشد عزائم الناس ليعملوا على التهيئة والتدرب لتنمية مواهبهم لكي لا يقع في الفخ ويكون ضحية أزمات الدهر ولم ينسى أولئك الذين يخافون ويهلعون من الموت ويرونه بأنه يطاردهم أينما ذهبوا بل يتمادون في الهروب منه فيقول لهم :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وان يرق أسباب السماء يسلم[32]

نجده هنا يعظ من يخاف ويهاب المنايا فأنها ستنال منه ولم يجد خوفه منها أي شيء ولو شاء الصعود الى السماء هرباً منها والحكمة ها هنا تتلخص في ان لا أحد يمكنه الفرار من قدره والخوف من الموت لا ينجيه[33] وأنه يرى أن الموت قدر محتوم لا مهرب منه فكل شيء معرض للزوال والفناء والانتهاء [34]

أما الذي يحاولون إخفاء نقصهم أمام الناس وتحجبوا وراء أصابعهم فيقول :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة فأن خالها تخفى على الناس تعلم[35]

يرى أن الإنسان مهما حاول أن يخفي على الناس من خلق يتصف به ويظن انه سيبقى في الخفاء علم ولم يخف فأن هذه النقائض والصفات السيئة لابد لها ان تظهر وان طال الزمان على إخفائها وتسترها أما بالنسبة للذين يلحون في طلب شيء ما فينالون .فهذا الامر لن يطول لأن أي شيء له نهاية وزوال فيقول :

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ومن أكثر التسآل يوماً سيحرمِ[36]

سألنا لننال عطائكم وفضلكم فأنعمتم بهما فعدنا الى السؤال وعدتم الى العطاء .ومن يكثر السؤال سيحرم يوماً ما منها فالإلحاح واللجاجة في الشيء أمر فظ وغليظ فلا يجوز الإكثار والاندفاع وراءهما .

ومن الأمور الذي دعا أليها زهير بن أبي سلمى وأكد عليها هي السخاء وبذل المعروف والعطاء ليتفضل على قومه ليقي عرضه[37] فيقول:

ومن يفعل المعروف من دون عرضهِ يفره، ومن لا يتق الشتم يشتمُ[38]

---

[27] المجاني الحديثة : ج 1 , ص 86 .
[28] ضريتموها : أي تتعود وتجترئ أذا عودتموها فتتكرر عليكم ضارية , وتضرم : تلتهب
[29] أشأم : افعل من الشأم , أي تلد لكم غلمان شؤم .
[30] الديوان : ص 57 .
[31] ثعلب : ص 35 .
[32] المجاني الحديثة : ج 1 , ص 88 .
[33] الجندي , علي : تاريخ الأدب الجاهلي : ص 301 – 305
[34] شرح ديوان زهير : ثعلب , ص 50 .
[35] المجاني الحديثة : ج 1 , ص 89 .
[36] المصدر نفسه : الصفحة نفسها .
[37] ثعلب : ص 35 .

يريد ان من بذل المعروف صان عرضه ومن بخل بمعروفه أو ما يعرضه للذم والشتم

وأما في ما يخص حثه للناس وتأكيده على تكريم الذات أي تعتبر من أهم المعاملات البشرية أن يكرم المرء ذاته فهو يلعب دوراً مهم في تكريمه من قبل الآخرين لنا أن من يجعل نفسه هيناً أمام الآخرين فمن يكرمه وينصفه فيقول الشاعر مشيراً الى هذه الحكمة :

ومن يغترب يحسب عدواً صديقه ومن لا يكرم نفسه لم يكرمُ[39]

أي أن من سافر واغترب يخال له أن الأعداء أصدقاء له لأنه لم يجربهم فالتجارب تكون خير ضمان كما في صدورهم ومن لم يكرم نفسه بالابتعاد عن الدنايا لم يكرمه الناس

كما حث الشاعر على الإنسان من العادات الحسنه وهي الغيره وكان كثير ما يرشد الإنسان على أن يكون غيوراً ولا يصغر نفسه لأحد فهي من العادات التي أمر بها زهير ونهى الناس عنها :

فصرم حبلها اذا صرمتهُ وعادى ان تلاقيها العداءُ[40]

وأشار أيضاً الى من يثقل على الناس فكان ناصح له فيقول :

ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ولا يغنها يوماً من الدهر يسأم[41]

وقوله أن من لا يستحمل الناس أي من لا يزال يثقل ويبالغ في أموره على الناس استثقلوه ولربما ينفرون منه ويسئموه ومن أبيات الحكمة والنصح يقول :

ومن يجعل المعروف في غير أهله يكن حمده ذماً عليه , ويندم[42]

أي أن من أحسن ووضع هذا الإحسان في من لم يكن الإحسان أهلاً له ولا يستحقه ذم عوض الحمد والشكر من قبل الذي أحسن اليه

وورد (في غير أهله) أي عند من لا يقدره وندم لأنه وضع إحسانه في غير موضعه وكان جزاؤه الندم على صنيعته [43] كما له أبيات في الحث على الوفاء بالعهد والهداية إلى البر:

ومن يوفِ لا يذمم ، ومن يهد قلبه الى مطمئن البر لا يتجمجم [44]

حيث أن من يوفي[45] بعهده لا يلحقه الذم ومن جعل قلبه يهتدي الى البر يطمئن قلبه الى حسن هذا البر لأنه وضعه في موضعه الصحيح وهذا الخير والصلاح ولم يتراجع لقيامه به او يتردد لأنه هذا العمل هو عمل خير وفيه إيماناً صادقاً[46]

وهناك الكثير من أبيات النصح الاجتماعي التي وقف فيها موقف الحكيم والناصح لرجاحة عقله وهدوءه وخوفه على مستقبل قبيلته وعرضه دفعه الى الاهتمام بالنصح وإرشاد أبناء عصره كي يكون المجتمع سليم خالي من الشوائب التي قد تؤدي بهم للهلاك فهكذا فأن زهير ابن الجاهلية هو ابن الإنسانية يطمح الى تحقيق التوازن بين النزعة الجاهلية والنزعة الإنسانية من أجل سعادة الفرد والمجتمع[47] ولهذا نرى أن جميع هذه الأبيات في الحكمة قريبة الى النفوس وبعيده عن التكلف والغموض وكأنما يقول ما يعرفه الناس جميعاً[48]

---

[38] المجاني الحديثة : ص 88 .
[39] المجاني الحديثة : ج 1 , ص 89 .
[40] الديوان : ص 15
[41] الديوان : ص 112
[42] المجاني الحديثة : ج1 , ص 88 .
[43] الديوان : علي حسن فاعور , ص 111 .
[44] المجاني الحديثة : ج 1 , ص88 .
[45] يوفي : ويفي بمعنى واحد من يفي بعهده لا يتعرض للذم والمطمئن الثابت , المستقر – لا يتجمجم : لا يتردد أي من يهديه الله إلى عمل أو إلى حالة يطمئن إليها قلبه لا يتردد في المضاء فيها .
[46] الديوان : علي حسن فاعور : ص 111 .
[47] الفاخوري : تاريخ الأدب العربي : 217 .
[48] المصدر نفسه 218 – 219 .

تمثلات النصح الديني

كما معلوم أن الحياة الجاهلية سبقت الإسلام ولكن كان العرب الجاهليين معظمهم موحدين وكانوا على معرفة تامة بوحدانية الله عز وجل فكان هناك فئة من الشعراء والحكماء الذين يصرحون بمذهبهم ويدعون إليه وكذلك استخدموا أسلوب النصح والإرشاد والحكمة في النزعة الدينية في أبياتهم ودعوا الناس إليها كما اخلصوا في هذا النصح وكانت لديهم قدرة الصبر على المنصوح وتقبلهم للصد عنها ولعل زهير بن أبي سلمى كان احد هؤلاء الشعراء الذين تحلو بهذا النزعة الدينية والدعوة لها لما كان يتحلى به من صفاء الخليقة جعلت منه سيد الشعراء ولعلنا نرى هذا المنحى الديني واضحاً في أبياته أوشك ينبأ بإسلامه فهو كان مؤمن بالله واليوم الآخر فدعوته للسلم والمحبة والوفاء والابتعاد عن المنكر وغيرها من الخصال التي كان يتحلى بها دليل على الجانب الديني فيه ولعل هذه الصفات التي تحلى بها وظهرت في شعره جعلت بعض الرواة على الحاقة في عداد المتألهين [49]ونجد ذلك واضح في قصائده التي تناول فيها إيمانه بالبعث والنصح به قوله

فلا تكتمن الله مافي نفوسكم ليخفى , ومهما يكتم الله يعلم[50]

يؤخر فيوضع في كتاب , فيدخر ليوم الحساب , أو يعجل فينقم

أي لا تظهروا الصلح وفي أنفسكم ان تغدروا فالله عالم بالخفيات وقد وردة كلمه ((نفوسكم)) بدل ((صدوركم))فذلك يعد برهاناً على انه كان ممن تحنف في الجاهلية كما ويذهب (شوقي ضيف) أن زهير لم يترك دين قومه غالباً وإنما هي تنم عن أفكار تخطر بباله

فامتداد العمر في حياة زهير كان باعثاً على كثرة التأمل والاستبصار والحكمة مما جعله يحث الناس على عدم إضمار ما في قلوبهم فلا حاجة لنا اليه أي لا تضمروا خلاف ما تظهرون أمام الناس فهو مؤمن بإحاطة الله بعلم كل ما في العالم حتى ما تخفيه صدور الناس والحقيقة أن قضية ان يكون المرء مؤمن بوجود الله في كل مكان ومراقبته إياه وكل ما يفعل من خير او شر يجنبه المعاصي وعمل الفاحشة والشر ويقربه لأعمال الخير ويصلح الأنفس فهو لا محال يؤخر الى يوم الحساب فيحاسب عليه المرء وله جزاء على كل عمل سواء كان صالح او سيء او يعجل عليه ذلك في الدنيا نقمه أي بعقوبة[51] وهذا هو معنى التقوى الذي أشار اليه الشاعر في قوله التالي:

ومن ضريبته التقوى ويعصمه من سيء العثرات الله والرحمُ[52]

فهنا قصد بكلمه الضريبة هي طبيعة الإنسان وسجيته فهي التي تمنعه من عمل السوء والعثرات والزلل لأنه ذو أيمان رصين وعظيم الشأن [53]كما ذكر مشيراً الى ان التقوى هي التي تزيد المرء ‘يماناً في حياته وقيامه بأمور الكون يقول :

بدا لي أن الله حق , فزادني الى الحق , تقوى الله , ما كان باديا[54]

حيث قال(صعوداء) أي زادني ذلك تقوى الله[55] أي ان الله هو الحق وان الايمان به هو طريق النجاة من المعاصي والإثم

ونرى أن الرواة ينسبون اليه أن رأى فيما يراه النائم انه يقترب من السماء مرتين ويرد فأستنتج أن أمراً من السماء سينزل فأوصى وحث ولديه بجير وكعب ان يبحثان عن صاحبه ويسيران على خطاه اذا أوجداه [56]فأن هذه الرواية اذا أصحت تدل على ان زهير كان كثيراً ما يفكر في من خلق هذه السماء والأرض فنجده مدفوعاً الى هذا القول :

تزود ,الى يوم الممات , فأنه , ولو كرهته النفس , اخر موعد[57]

أي أن موعد الموت محتوم لابد منه وان كانت النفس تنبذه وتكرهه ينبغي بأن تسلم له وتزود فأن العمل المحمود لا يخلد صاحبه فأن هذه الأعمال الصالحة منها من يبقى ويتوارث فكأنما صاحبها هو حي من خلال ذكر الناس لأعماله المحمودة بعد موته [58]

كما وتظهر لنا الصورة البديعة في البيت الذي يقول فيه :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته , ومن تخطيء يعمر فيحرم[59]

---

[49] الشعر والشعراء : أبن قتيبة : ج1 , ص 143 .
[50] ثعلب : شرح الديوان , ص 42 .
[51] ثعلب : شرح الديوان , ص 42 .
[52] الديوان : ص 118 .
[53] المصدر نفسه : الصفحة نفسها .
[54] الديوان : ص 140 .
[55] المصدر نفسه : الصفحة نفسها .
[56] الفران : 103 .
[57] الديوان : فاعور , ص 41
[58] الشنتمري :شرح الديوان , ص 236 .
[59] المجاني الحديثة : ج 1 , ص 88 .

فالخبط هنا يعني الضرب حيث انه شبه الموت بالناقة العشواء التي تضرب بيدها لأنها لا تبصر طريقها ليلاً فهي تضرب على غير علم كالأعمى .حتماً كذلك الموت فهو يصيب الناس على غير علم ولا ترتيب فالتفكير في قضية الحياة والموت تكثر عند زهير فهذه الكناية الرائعة التي صور بها الشاعر هذا البيت وحثه الناس على العمل الصالح لان الموت لا يستأذن احد من دون نظام فمن أصابه أهلكه ومن اخطأ بقي على قيد الحياة وبلغ الهرم الى اجل مسمى[60]

أيضاً من الأبيات التي تنم عن صفاء خلقه ونزعته الدينية قوله :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه , من قريشي وجرهم[61]

فهذا البيت دليل على انه كان متديناً حيث اقسم بالكعبة طاف حولها من قام ببنائها من القبائل التي كانت هي محل الطواف والقبلة وذكر الشاعر هذا الرمز الديني دليل على ما يريد إيصاله للمتلقي يعلو شأنه وانه له أثراً كبيراً عليه و (جرهم)هي قبيلة قديمه كانوا هم ولاة البيت قبل قريش وهي القبيلة التي تزوج فيها النبي إسماعيل (ع) وبعد ذلك استولى عليها خزاعة الى ان عادت الى قريش.

وقد ورد في جمهرة أشعار العرب بيت بعد هذا البيت ولكن لم يذكر عند ثعلب وصعوداء والشنتمري يقول :

وباللات والعزى التي يعبدونها بمكة والبيت العتيق المكرم[62]

أيضاً ذكر فيها لفظ (البيت العتيق) واللات : هي بالطائف وهي صخره مربعه كان عندها رجل يلت السويق للحاج فلما مات عبدت وهي التي ذكرها الله في القرآن فقال [63]((أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ))[64]

فكل هذه الأبيات تدل على إيمان زهير ونزعته الدينية وحثه الناس على الاقتداء بأحكام الدين والحظ على أتباعه والنظر في قضاياه من الخلق والموت والحياة والبعث فهي بمثابة إرشاد والنصح للمرء سواء أكان من أبناء عصره وتأثير هذه الأبيات على العصور التي لحقته واهميتها في نفس القارئ .

النتائج

- 1أن زهير أبن أبي سلمى قد أكثر من أشعار النصح لكونه عاش عمراً كبيراً إضافة إلى أنه من الشعراء المجيدين بذلك الموضوع.
- عالج الشاعر الكثير من المشكلات السائدة في المجتمع والسبب لأنه كان مجتمعه مجتمع قبلي يميل إلى لغة الحرب والنزاعات
- اكثر الشاعر في نصائحه الاجتماعية لكون المجتمع أنذاك يمل إلى الشعراء وحب الشعر وكان ذات تأثير عميق في نفوسهم .
- كان الشاعر كثيراً ما يحاول ويطمع أن يوازن بين النزعة الجاهلية والنزعة الإنسانية .

1. يرى الباحث أن الشاعر غير بعيد عن النصح الديني لكون الشاعر وكثير من مجتمعه على الدين الحنفي .

المصادر والمراجع

1ابن قتيبة: ابي محمد عبد الله بن مسلم ،دار احياء العلوم ، بيروت_ لبنان ١٩٨٧.

2ابن قيم : أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، ج٢ ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ، ٢٠٠١.

3ابن منظور : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب،ج٥ ، نشر ادب الجوده ، قم ،ايران ١٤٠٥ هـ .

4ابي الحسين : احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة،ج٥ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٩م .

5الأزهري : أبي منصور محمد بن احمد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، تهذيب اللغة، ج٨، الدار المصرية التهذيب والترجمة ، بدون تاريخ .

6الأندلسي : ابو محمد علي بن حزم ، قراه وضبط نصه طارق بن عبد الواحد بن علي ، تحقيق ايڤا رياض ، دار ابن حزم

7البستاني : فؤاد أفرام، المجاني الحديثة، ج١، ١٣٩٩هـ.

8 البغدادي : زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن شهاب ، جامع العلوم والحكم ، تحقيق محمد 9 الاحمدي ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط٢ ، مصر _القاهره، ٢٠٠٤.

[60] الديوان : فاعور , ص 110 .
[61] الديوان : فاعور , ص 105 .
[62] الديوان : فاعور , ص 105 .
[63] سورة النجم : 19 .
[64] المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

10 بن حميد :صالح بن عبد الله ، مفهوم الحكمة في ألدعوة، طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة . العربية السعودية، ط ٣ ،١٤٢٣هـ.

11 ثعلب : أبي العباس ، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتاب الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٤م.

12 الجندي : علي ، تاريخ الادب الجاهلي ، مكتبة دار التراث، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

13 الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح،ج١ ، دار المعاجم مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦.

14 سلامة :يسري محمد ، الحكمة في شعر المتنبي ، دار ألوفاء، الإسكندرية ، مصر ، ط١ ،٢٠٠٩.

15 شرح ديوان زهير بن أبي سلمى . حمد وطماس ، دار المعرفة ، بيروت، ط٢ ، ٢٠٠٥.

16 الشنتمري :الأعلم،شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ.ق.

17 الشنتمري: ابي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى المازني ،طبع بالمطبعة الحميدية المصرية، ١٣٢٣هـ.

18 صالح بن عبد الله بن حميد ، مفهوم ألحكمة في ألدعوة ،طبع وزارة ألشؤون وألأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية. ط١٤٢٣هـ.

19 الضالعي :أبو عبد الرحمن رشاد بن أحمد. ألنصيحة مفهومها وفضائلها وضوابط مهمة فيها، دار الحديث السلفيه للعلوم الشرعية بمدينة الضالع،١٤٤٣هـ.

20 ضيف :شوقي ، تاريخ الإدب العربي(العصر الجاهلي) دار المعارف، القاهرة،ط٨، ١٩٧٧م.

21 الفاخوري : حنا، تاريخ الإدب العربي ،دار الجيل , لبنان , بيروت , ط 1 , 1986.

22 فاعور: علي حسن.ديوان زهير بن ابي سلمى، دار الكتب العلمية ، بيروت_لبنان ،ط١، ١٤٠٨هـ_١٩٨٨م.

22 الفيروزآبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب، قاموس المحيط، ج١ ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،بيروت -لبنان ، ط٨ ،٢٠٠٥.

23 القرشي : أبو زيد، جمهرة أشعار العرب، ج١،تحقيق خليل شرف الدين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.